

عمليات أطفال الأنابيب والاستنساخ البشري في منظور الشريعة الإسلامية

منذر طيب البرزنجي – شاكر غنى العادلي

مؤسسة الرسالة ناشرون

إن مشكلة عدم الإنجاب من المشكلات التي واجهت الحياة الزوجية وأخذت تهددها، وطالما سببت للأسرة عقداً نفسيةً ومشكلات عائليةً تنتهي في الغالب بانفصال الزوجين. لهذا كثيراً ما نجد المحرومين من نعمه الولد يستعينان بأية وسيلة للتغلب على عقبة عدم الإنجاب، وقد وصل الأمر بالبعض إلى اللجوء إلى المشعوذين والدجالين والأدعياء يلتمسون عندهم حلاً لهذه المشكلة. بيد أن التطور الهائل في علم الطب وأبحاث الأجنة الذي أخذ في المدة الأخيرة يخطو خطوات واسعة، وبخاصة في أمراض العقم، تمكن من حل مشكلاته بتوصله إلى طريقة حديثة سميت (التلقيح الاصطناعي). وبعد نجاح الأطباء في هذا المجال بولادة أول طفلة من أطفال الأنابيب وهو (لويزا براون) عام ١٩٧٨، تتابعت البحوث وأنشئت مراكز التلقيح الاصطناعي في مختلف أنحاء العالم، ثم أقيمت بنوك لتجميد الحيامن والبيوض واللقاح.

ثم ظهر في عام ١٩٩٧، اكتشاف علمي جديد قائم على أساس الاستنساخ الحيواني، أي الحصول على نسخة طبق الأصل من الحيوان، وقد نتج عن هذه البحوث استنساخ نعجة سميت (دولي). أثير حول هذه العمليات نقاش كبير من حيث شرعيته وهو أمر دعا الفقهاء والعلماء إلى الوقوف على مدى شرعية هذه العمليات انطلاقاً من أن الشريعة الإسلامية لها في كل اكتشاف علمي جديد حكم لترشيدها هذا الاكتشاف. كما عقدت ندوات ومؤتمرات إسلامية هنا وهناك، للبحث في أحكام هذه العمليات ومشكلاتها، واستجلاء الرأي الشرعي والقانوني والأخلاقي حيال هذه الإجراءات الطبية، والكشوف العلمية التي تمس حياة الإنسان وصحته الجسدية والنفسية، وذلك بإرجاع مسألها إلى أصول الشرعية من أجل الابتعاد عما حرم الله.

في ضوء ما تقدم عقد المؤلفان "منذر طيب البرزنجي" و"شاكر غنى العادلي" العزم على تأليف كتابهما هذا الموسوم بـ(عمليات أطفال الأنابيب والاستنساخ البشري في منظور الشريعة

الإسلامية) وهو كتاب يتصل بصميم هذه الاكتشافات الحديثة لعلاج حالات العقم كافة وما يتعلق بجميع جوانبها، كما يحوم حول جزئياتها المتناثرة بجميع شتاتها ويوحد متفرقاتها.

ولإحاطة المؤلفان بجميع جوانب الموضوع نظماً مادة كتابهما هذا في ستة فصول: استقطب الأول منها بالبحث والتمحيص موضوع الإسلام والمرأة، نظرة في دورها في الحياة من خلال القرآن الكريم بكل التفاصيل الدقيقة، كما ألماً بأهمية الزواج والغرض منه، ثم تناولوا مشكلة العقم وأسبابه وعلاجه. وتناول الفصل الثاني موضوع التلقيح الاصطناعي والمشكلات اللاشريعة الناجمة عن هذه العمليات، وموقف الشريعة الإسلامية منها. أما الفصل الثالث فقد تحدث عن بنوك المنى اللقائح، وحالات تجميد الحيامن والبيوض والأجنة والموقف الشرعي منها، ثم تناول عمليات أطفال الأنابيب، وعمليات الإخصاب الداخلي، ومصافي الأمان في الجهاز التناسلي الأنثوي، كما استقطب الفصل الرابع الاستنساخ الجيني والاستنساخ البيولوجي البشري، والفوائد الاقتصادية في هذه العمليات والآثار السيئة المترتبة عليها والحكم الشرعي فيها. وتضمن الفصل الخامس: حواراً أجرته مجلة "آفاق عربية" مع الدكتور "منذر طيب البرزنجي" العالم المتخصص في بحوث الأجنة في شباط من عام ١٩٨٧م السنة الثانية عشرة، تضمن الحوار عدداً من النقاط المتصلة بموضوع هذا الكتاب، بعضها تمّ شرحه في فصول الكتاب وبعضها الآخر لم يتم التطرق إليه، وإنما تمّ إثباته في ملحق بهذا الفصل إشباعاً للموضوع وتحقيقاً لانتفاع القارئ به. أما الفصل السادس والأخير: فقد تناول موضوع الإجهاض وأنواعه ثم موقف الشريعة الإسلامية منه. هذا وقد عززا المؤلفان كل فصول الكتاب (بملحق)، وهو عبارة عن أسئلة وجهت إلى بعض علماء الدين، تخصّ موضوع الفصل، وتتعلق بموقف الشريعة الإسلامية من هذا النوع من التداوى مع الإجابات عنها، وإما ما صدر عنهم من كراريس تضمنت الموقف الشرعي من هذه العمليات بأنواعها المختلفة.